

الشرق الأوسط والبيئة الدولية

Middle East and International Environment

كريم محمد العربي

جامعة الجزائر 3 (الجزائر)، mohammed.alarbi1986@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/31

تاريخ القبول: 2022/04/14

تاريخ النشر: 2022/04/18

ملخص:

تهدف هذه الدراسة رصد وتحليل أهمية الشرق الأوسط في تجاذبات وتفاعلات البيئة الدولية، حيث يلعب المفهوم في هذا السياق دورا محوريا نظرا لتوفر العديد من العوامل المؤثرة على غرار الموقع الجواستراتيجي، والتاريخ الحضاري وغيرها من العوامل الأخرى، وهو ما جعل من المنطقة ككل محط صراع طويل على النفوذ بين القوى الكبرى على مر العقود الأخيرة، هذا كما أن مفهوم الشرق الأوسط أيضا يثير الكثير النقاشات الأخرى المرتبطة بالمفهوم في حد ذاته، واتباطاته الأيديولوجية والتوجهات الفكرية والسياسية لوضعيه بعيدا عن الجغرافيا السياسية.

كلمات مفتاحية: الشرق الأوسط، البيئة الدولية، العلاقات الدولية.

Abstract:

This study aims to monitor and analyze the importance of the Middle East in the interactions and interactions of the international environment, where the concept plays a pivotal role in this context due to the availability of many influencing factors such as the geostrategic location, cultural history and other factors, which made the region as a whole the focus of a long struggle over Influence between major powers over recent decades, and the concept of the Middle East also raises many other discussions related to the concept itself, its ideological connections and the intellectual and political orientations of its authors away from political geography.

Keywords: Middle East, international environment, international relations..

لا يعبر مفهوم الشرق الأوسط عن منطقة جغرافية محددة، فهو مصطلح سياسي في نشأته وفي استخدامه من جانب القوى الخارجية. ويبدو المصطلح متحركاً وغير مستقر بالمعنى التاريخي حتى في أبعاده الجغرافية والسياسية؛ حيث تغيرت الصياغات السياسية والجغرافية والمسميات بالنسبة له حسب المفاهيم الغربية. وتعد منطقة الشرق الأوسط بما تمثله من أهمية إستراتيجية سياسية واقتصادية وعسكرية مجالاً للتنافس للسيطرة عليها من قبل الدول الكبرى، فأصبحت الأطماع الدولية في المنطقة أحد أهم ثوابت حسم صراع القوة، وعنصراً رئيسياً في التركيبة السياسية لعلاقات دول المنطقة مع بعضها وعلاقتها بالدول ذات المصالح. ويتناول هذا المبحث دراسة الإطار النظري لمفهوم الشرق الأوسط من خلال دراسة للتطور التاريخي للمفهوم، وتعريفاته المختلفة، ومكونات منطقة الشرق الأوسط، وأهميتها الإستراتيجية.

وتعد منطقة الشرق الأوسط من المناطق في البيئة الدولية ذات الحساسية الشديدة للمتغيرات الدولية الهامة سواء كانت متعلقة بصعود وهبوط القوى العظمى، أو تلك المرتبطة بالاقتصاد والتكنولوجيا، حيث اكتسبت المنطقة أهمية كبرى في منظور المصالح الأمريكية والأوروبية، بسبب موقعها القريب من الاتحاد السوفيتي سابقاً، ولامتلاكها للعديد من الموارد الاقتصادية خصوصاً النفط، والأيدي العاملة، والغاز إلى جانب معادن عديدة مهمة في بناء صناعات حيوية تتركز على قاعدة واسعة من التقدم العلمي والتكنولوجي.

وعليه يمكن أن نطرح الإشكالية التالية:

ما موقع ومكانة الشرق الأوسط ضمن تفاعلات وتجاذبات البيئة الدولية؟

والتي سوف نحاول الإجابة عنها من خلال المحاور التالية:

المحور الأول : منطقة الشرق الأوسط (دراسة تاريخية):

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من المناطق المؤثرة في التوازن العالمي فموقعها الإستراتيجي جعلها في حيز قانون التداخل والتعارض، وذلك جعلها ذات أهمية شديدة في المصالح الدولية. ويشكل العالم العربي الجزء الأكبر والأهم من الناحية الجيوإستراتيجية والجيوإستراتيجية؛ فتبلغ مساحة العالم العربي حوالي 13 مليون و487 ألف و814 كيلو متر مربع تقع 22% تقريباً في آسيا و78% في أفريقيا¹. وقد بدأ العالم الغربي (الأوروبي) بالتعرف على القارة الإفريقية منذ أوائل القرن الخامس عشر بعد هزيمة الصليبيين ففشل

المشروع الأوروبي في المشرق العربي . لهذا بدأت أوروبا السعي الجدي لإيجاد وسيلة تمكنها من محاصرة العالم العربي والإسلامي من الجنوب والسيطرة على التجارة الشرقية مصدر قوتها. وفي عام 1421 أبحرت أول سفينة برتغالية لاستكشاف الساحل الأفريقي بتوجيه من الأمير "هنري" للتعرف على مناطقه . وفي عام 1488، بعث "يوحنا الثاني" ملك البرتغال بعثة كشفية مهمتها البحث عن مملكة الحبشة وجمع معلومات عن المناطق المنتجة للتوابل والطرق المؤدية إليها². فلقد كانت التجارة الشرقية من أهم الأسباب الداعية لقيام الرحلات، إلا أن البعد الديني شكل قوة دفع حركت المد الاستعماري في بداية العصور الحديثة³. ولقد اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر، مما مكن أوروبا من المرور إلى مستعمراتها التي تحولت فيما بعد إلى منطقة صراعات بين القوى الاستعمارية الغربية آنذاك، بين البرتغال وهولندا ومن ثم بين فرنسا وبريطانيا التي استمرت حتى بعد العدوان الثلاثي على مصر عام 1956⁴. وقد أُستخدم مصطلح الشرق الأوسط للمرة الأولى في عام 1902 بواسطة الكاتب الأمريكي المتخصص في الإستراتيجية البحرية "ألفريد ماهان" لدى مناقشته الإستراتيجية البحرية الإمبريالية البريطانية، وذلك للإشارة للمسالك الغربية والشمالية المؤدية إلى الهند، في مواجهة النشاط الروسي في إيران والمشروع الألماني الذي استهدف إنشاء خط سكة حديد بين برلين وبغداد والتي كانت جزءاً من الدولة العثمانية. وقد استخدم هذا المصطلح للدلالة على المنطقة التي يقع مركزها في الخليج العربي الواقع بين منطقتي الشرق الأدنى والشرق الأقصى⁵. وفي ذات العام 1902، كتب "فالتاين شيرول" مراسل جريدة التايمز البريطانية مجموعة مقالات امتدت لعدة شهور تحت عنوان "المسألة الشرق أوسطية"؛ حيث كرس مقالاته للبحث عن مقومات الإستراتيجية المتوفرة في المنطقة، والتي تعتبرها بريطانيا ضرورية لتأمين الدفاع عن مستعمراتها في الهند. ونظراً لأهميتها فقد أُطلق عليها جوهره المستعمرات البريطانية. وقد تطور هذا التعبير وتساعد وفق استخداماته المرتبطة بالمصالح البريطانية⁶. وازداد استخدام مصطلح الشرق الأوسط أثناء الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء، للإشارة إلى الإقليم الممتد من جنوب آسيا إلى شمال أفريقيا، ثم أخذ تعبير الشرق الأوسط محل تدريجياً بدل مصطلحات أخرى سادت قبله في الاستعمال مثل: **الشرق الأقصى**، والذي يشير إلى منطقة جغرافية واسعة تتمتع جغرافياً بامتداداتها الكبيرة المطللة على المحيطين الهندي والهادي. وتتكون من مجموعة أقاليم واسعة تقع في شرق وجنوب شرق آسيا وتتألف جغرافياً من: الهند، الصين، منغوليا، اليابان، دول جنوب آسيا⁷؛ **الشرق الأدنى**، والذي يشير إلى المنطقة التي كانت تقع تحت السيطرة العثمانية، فمن وجهة نظر الأوروبيين كانت الإمبراطورية العثمانية هي الشرق الأدنى منهم. ولهذا تعكس هذه التسمية وجهة نظر الأوروبيين⁸.

المحور الثاني : مفهوم الشرق الأوسط

مع بداية ستينيات القرن الماضي بدأ الخطاب السياسي الغربي يتعامل مع العالم العربي بأنه لا يمثل أي شكل من أشكال الوحدة ؛ حيث بدأ الفكر الغربي يُدخل باستمرار دولاً غير عربية في المجال الجغرافي لمفهوم الشرق الأوسط. فنجد حدود الشرق الأوسط قد تمددت لتضم دولاً مثل: تركيا وقبرص وأثيوبيا وأفغانستان وإيران وإسرائيل، وتخرج من حدوده دول المغرب العربي: الجزائر وتونس والمغرب، وأحياناً ليبيا والسودان. فلقد تنوعت آراء الباحثين حول تحديد الدول التي تدخل في إقليم الشرق الأوسط، ويمكن أن نميز بين دول تتفق حولها كافة الاجتهادات والآراء على أنها تشكل منطقة القلب فيه، ودول خارج الإطار محيطة بالقلب، ودول هامشية تختلف الآراء حول دمجها ضمن منطقة الشرق الأوسط، كالتالي:

1- تضم مجموعة الدول التي تدخل في الشرق الأوسط - التي يتفق عليها الباحثون ومراكز الدراسات وهي (قلب) المنطقة من بلاد الهلال الخصيب العربية (العراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر) ويطلق عليها المجال الحيوي للشرق الأوسط؛ **2-** الدائرة الخارجية المحيطة بالقلب أبرز دولها السعودية وليبيا وإيران وتركيا والسودان؛ **3-** مجموعة الدول الهامشية والتي تختلف الآراء حول انتسابها للشرق الأوسط وتضم: أ. - مجموعة بلاد المغرب وتضم تونس الجزائر والمغرب وموريتانيا؛ ب. - أثيوبيا والصومال؛ ج. - ما تبقى من دول شبه الجزيرة العربية، وتضم: اليمن والكويت وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة وعمان؛ هـ. - دول أوروبية شرق أوسطية كقبرص واليونان؛ د. - دول أسيوية تشمل: باكستان وأفغانستان والجمهورية الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز بعد انهيار الاتحاد السوفيتي⁹.

وقد برزت العديد من التعريفات لمنطقة الشرق الأوسط مثل: تعتبر الموسوعة الأمريكية أن منطقة الشرق الأوسط تشمل البلدان الآتية: البحرين، قبرص، مصر، إيران، العراق، إسرائيل، الأردن، الكويت، لبنان، عُمان، السعودية، قطر، السودان، سوريا، تركيا، الإمارات العربية المتحدة، اليمن. وهذا التعريف لا يشمل دول المغرب العربي، ويضم دولاً غير عربية مثل: قبرص وإيران وإسرائيل وتركيا¹⁰. وتعرف الموسوعة البريطانية الشرق الأوسط بأنه مصطلح يعود في استعماله الحديث إلى الحرب العالمية الثانية، ويشمل الأراضي الواقعة حول الساحلين الجنوبي والشرقي للبحر المتوسط من المملكة المغربية إلى شبه الجزيرة العربية وإيران¹¹. ويعرف القاموس السياسي الشرق الأوسط بأنه اصطلاح جغرافي يطلق على الإقليم الذي يضم الدول الآسيوية والأفريقية المتجاورة القريبة من أوروبا، ويطل أكثرها على البحر المتوسط وتشمل: إيران والعراق

والجزيرة العربية ثم تركيا وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصر وليبيا¹². وترى موسوعة السياسة أن مصطلح الشرق الأوسط مصطلح غربي استعماري، كثر استخدامه إبان الحرب العالمية الثانية، وهو يشمل منطقة جغرافية تضم: سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والخليج العربي ومصر وتركيا وإيران، وتوسع لتشمل أفغانستان وقبرص وليبيا أحياناً¹³.

ومن خلال دراسة مجمل التعريفات الخاصة بتحديد منطقة الشرق الأوسط يتبين الآتي:

1- أن تحديد منطقة الشرق الأوسط يغلب عليه عامل المصلحة، فكل التعريفات لا تستند إلى معايير موضوعية في تحديد ماهية الشرق الأوسط والدول التي تدخل في إطاره.

2- أن معظم التعريفات تطلق بناءً على دوافع وأهداف سياسية، وبالتالي تقوم بدراسات علمية لتحقيق أهداف سياسية وإستراتيجية.

3- نظراً للهيمنة الأمريكية والصهيونية السائدة في التسعينيات، فكان هناك محاولة لفرض نظام شرق أوسطي يحمل مفاهيم ومصطلحات جاءت مفروضة من قبل الدوائر الإسرائيلية والأمريكية¹⁴.

وهكذا، فإن مصطلح الشرق الأوسط غامض مقابل مصطلح العالم العربي، فمفهوم الشرق الأوسط من المنظور الغربي يلاحظ أنه ينطوي على دلالات معينة تخدم أهداف لا تتفق بالضرورة مع المصالح العربية بقدر ما تحقق مصالح قوى أخرى سواء أكانت دولاً خارج المنطقة العربية أو مفروضة داخل المنطقة كإسرائيل، ومن هذه الدلالات: أن هذا المفهوم لا ينصرف إلى منطقة جغرافية معينة، وهو غير نابع من طبيعة المنطقة العربية ذاتها وخصائصها البشرية والاجتماعية والثقافية والحضارية، فمصطلح الشرق الأوسط كان جغرافياً في نشأته، سياسياً في دلالاته وتطوراته. وهذا المفهوم بإدراجه البلدان غير العربية ضمن منطقة الشرق الأوسط يستهدف تبرير شرعنة الوجود الإسرائيلي بما أنها خليط من القوميات واللغات، فإن تصور إمكانية قيام وحدة بين دولها هو ضرب من المحال؛ ومن ثم فإن النتيجة المنطقية هي أن تكون لكل قومية من هذه القوميات دولتها الخاصة بها في هذا الإطار، فالوجود الصهيوني يكتسب شرعية ويتم إدخال إسرائيل في النظام الإقليمي للمنطقة وكسر عزلتها وتحليصها من عقدة الشرعية الإقليمية. ويمزق هذا المفهوم أوصال الوطن العربي، فاستخدامه يدخل بلدان غير عربية في الشرق الأوسط ويخرج بلدان عربية منه. فهذا المفهوم يجعل البلدان العربية مجرد جزء من منطقة تضم خليطاً غير متجانس من القوميات والشعوب والسلالات والأديان واللغات¹⁵.

الخوارج الثالث: مكونات الشرق الأوسط:

تلتقي وتتقاطع في منطقة الشرق الأوسط كتل جغرافية سياسية متعددة: فمنطقة الهلال الخصيب وتضم العراق، سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن؛ ومنطقة شبه جزيرة العرب وتشمل: السعودية، اليمن، الكويت، قطر، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، عُمان؛ ومنطقة شمال أفريقيا: مصر، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا؛ ثم ما يسمى في الكتابات السياسية الأمريكية والأوروبية الحزام الشمالي: تركيا، إيران؛ وهناك من يضيفون إلى هذه البلاد ضمن تعريف الشرق الأوسط أطرافاً أخرى من داخل الإقليم وخارجه¹⁶.

أما العوامل التي شكلت ملامح الشرق الأوسط فقد تمثلت في إدخال المنطقة إلى العصر الحديث الذي بدأ مع الحملة الفرنسية على مصر عام 1798، واكتمل في عام 1919 مع اقتسام الفرنسيين والإنجليز لمناطق الانتداب والنفوذ على امتداد منطقة الشرق الأوسط، والذي أدى إلى تشابك النتائج البعيدة المدى لهذا الإدخال القهري للمنطقة في عصر الحداثة، والتي يمكن حصرها في أربع أصعدة كما يلي: **ديموغرافياً**، تسببت عملية التحديث هذه بوجود طفرة سكانية منقطة النظير في تاريخ الشرق الأوسط، مما أدى إلى انقلاب في البيئة الديموغرافية وضاعف المعدل السنوي للنمو السكاني عدة مرات، ولقد كان هذا النمو أحد عوامل إدخال الشرق الأوسط في دائرة الأزمة المفتوحة؛ **اقتصادياً**، عرفت معظم دول الشرق الأوسط حركة تصنيع وتحديث زراعي، ولكن الطابع الريفي بقي هو الغالب على اقتصاديات "الشرق الأوسط" خصوصاً بعد الطفرة النفطية بعد حرب 1973، غير أنه لا يزال هناك اختلاف ملموس في التوازن من حيث الدخل السنوي، سواء في الدول النفطية أو غير النفطية؛ **ثقافياً**، لا تزال معظم دول المنطقة تعتبر من الدول المتخلفة، وعلى الرغم من الثورة التعليمية الحديثة التي أدخلت عشرات الملايين من سكان الشرق الأوسط إلى دائرة الوعي، إلا أن نسبة الأميين بين سكان الدول العربية الذين تزيد أعمارهم عن الخامسة عشر تعتبر مرتفعة إذا قورنت بإيران وتركيا؛ **أيديولوجياً**، جاءت عملية التحديث بعد سقوط الدولة العثمانية، فبدت وكأنها أرادت انتقال المنطقة من تاريخ ديني إلى تاريخ دنيوي. ولاشك أن هذه النتائج على أصعدها الأربعة، كان لها تأثير، بشكل أو بآخر، في تشكيل ملامح منطقة الشرق الأوسط داخلياً والمطامع في ثرواتها خارجياً، ولكنها لم تحدد تحديداً قاطعاً وواضحاً المساحة الجغرافية التي يغطيها مصطلح الشرق الأوسط¹⁷. وتتسم منطقة الشرق الأوسط بتنوع وتعدد الأعراق والأديان واللغات

والثقافات بدرجة كبيرة؛ حيث يعتبر الشرق الأوسط مهد الرسالات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، والتي تنقسم بدورها إلى العديد من المذاهب والطوائف إلى جانب ديانات وعقائد أخرى؛ كما تسود في الشرق الأوسط من الناحية اللغوية اللغات : العربية والفارسية والتركية بلهجاتها المحلية هذا بالإضافة إلى لغات محدودة أخرى مثل العبرية والسريانية... الخ؛ وتنتمي أغلب شعوب المنطقة من الناحية الإثنية إلى السلالات الفرعية التالية: السامية السامية، الهندية، الأريه، إلى جانب هذه الأثنيات العديد من المجموعات الأخرى مثل الأكراد(المنتشرين بشكل قوي في تركيا والعراق وسوريا وإيران)¹⁸

الخور الرابع : أهمية منطقة الشرق الأوسط:

تشكل منطقة الشرق الأوسط همزة وصل بين جنوب وشرق آسيا وبين أوروبا والأمريكيتين، وتتميز منطقة الشرق الأوسط بمكانة إستراتيجية هامة بالنسبة لجميع القوى الدولية، ويعود ذلك إلى أن المنطقة تحتل موقعاً وسطاً بين قارات العالم الثلاث (آسيا، وأفريقيا وأوروبا)، كما تتجمع في منطقة الشرق الأوسط معظم شبكات المواصلات العالمية جوية وبحرية وبرية، وتتحكم في عدد من الممرات المائية الهامة مثل مضيق هرمز، وباب المندب، وجبل طارق فضلاً عن قناة السويس¹⁹. وقد تحول الشرق الأوسط إلى مسرح إستراتيجي مهم للقوى الصناعية الكبرى، لأنه يؤمن في السلم والحرب تدفق النفط والغاز والمواد الأولية، كما أن ممراته المائية تضمن السيطرة على العالم، وهذا ما جعل الولايات المتحدة تربط أمنها القومي بأمن الشرق الأوسط الذي يمس مصالحها القومية، ويشكل العمود الحيوي في سياستها العالمية²⁰.

ويشكل الموقع الجغرافي لدول الشرق الأوسط حجر الزاوية في أهميتها الإستراتيجية، خاصة ما يتعلق بموقع اليابسة من الماء، وموقع السواحل من الداخل وارتباطها بالطرق البرية الداخلية. ومن هذه الأهمية الإستراتيجية التي يضيفها الموقع الجغرافي للدول الواقعة في منطقة الشرق الأوسط:

1- أن المنطقة تتميز من الناحية الجغرافية بموقع إستراتيجي هام بين الشرق والغرب، وتعتبر من أهم المنافذ البحرية التي تربط أوروبا وأفريقيا وآسيا، فطبيعة موقع دول الشرق الأوسط وتركيبها السكانية، واتصالها بالصحراء من جهة، وبالبحر من جهة أخرى، جعل للمجتمعات الشرق أوسطية خصائص المجتمعات الحية المتحركة المنفتحة على المجتمعات والثقافات الأخرى.

2- توفر مياه منطقة الشرق الأوسط وسواحله الصالحة للملاحة مزايا إستراتيجية هامة للدول المطلة عليه؛ إذ تتميز السواحل بصلاحياتها لرسو السفن بينما تتميز مياهها بالهدوء وصلاحياتها للملاحة طوال العام.

3- ترتبط سواحل الدول الواقعة في منطقة الشرق الأوسط بالطرق البرية في دول المنطقة وتوفر للداخل إمكانية الارتباط بالتجارة العالمية عبر الملاحة الدولية.

4- تضم منطقة الشرق الأوسط عدة بحار مثل: البحر الأحمر والبحر الميت، كما يوجد بها خلجان مهمة مثل: الخليج العربي، خليج العقبة، وخليج السويس. كما يوجد بها أثمار هامة ومتدفقة طوال العام مثل: نهر النيل، ونهر دجلة، والفرات ناهيك عن المضائق التي تشرف عليها مثل: مضيق باب المندب، ومضيق هرمز، ومضيق البوسفور، والدردنيل، وقناة السويس ذات الأهمية البالغة. الأمر الذي يتيح له فرص التواصل التجاري والثقافي والحضاري مع أقاليم سياسية ومناخية وتجارية مختلفة²¹.

كما تحظى منطقة الشرق الأوسط بأهمية كبيرة في النظام السياسي والاقتصادي الإقليمي والدولي من هنا كان الاهتمام بالمنطقة، بهدف الوصول إلى نوع من الاستقرار السياسي الذي يحافظ على مصالح الدول الكبرى في هذه المنطقة، وللشرق الأوسط أهمية عالمية بشكل، ويظهر ذلك عند النظر إلى هذه الأهمية: فإستراتيجياً، لمنطقة الشرق الأوسط أهمية إستراتيجية كبيرة بين المناطق المحيطة بها، فهي حلقة وصل أوجسر بين دول وقارات العالم، مما جعلها من أكثر المناطق تأثراً وتأثيراً بالأحداث والتطورات العالمية، وأضفى على موقعها أهمية إستراتيجية دفعت القوى الكبرى إلى محاولة السيطرة عليها، واستغلال قدراتها الفريدة بالشكل الذي يخدم مصالحها ويحقق أهدافها؛ اقتصادياً، يقدر احتياط النفط في الشرق الأوسط بـ66% من احتياط النفط العالمي. وفي نهاية القرن العشرين، أنتجت منطقة الشرق الأوسط حوالي ثلث الإنتاج العالمي من النفط، وتعتبر هذه المنطقة المزود الرئيسي للنفط للعالم المتطور وخاصةً دول الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة الأمريكية، روسيا واليابان. وهذا أعطى لبعض الدول في الشرق الأوسط قوة اقتصادية أثرت كثيراً على شعوب المنطقة. وعلى هذا الأساس تحاول الدول الكبرى أن تفرض سيطرتها على المنطقة وكذلك الأمر بالنسبة إلى تركيا التي باتت تنظر إلى المنطقة من جانب الأحقية في التدخل بدوله بحكم الجوار الجغرافي، ودينياً، حيث أن مهد الديانات السماوية الثلاث في منطقة الشرق الأوسط، ومنها ولد أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في العراق، وابنه إسماعيل عليه السلام في فلسطين، وموسى عليه السلام في مصر، والمسيح عيسى عليه السلام في بيت لحم في فلسطين، ومولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مكة، وتوجد أقليات مسيحية في مصر ولبنان والأردن وسوريا والعراق وفلسطين، وتعتبر القدس الأرض المقدسة بالنسبة لليهود والمسيحيين والمسلمين²².

وارتباطاً بما سبق، نجد أن الولايات المتحدة وإيران كدولتين محورتين في الإقليم تسعى كل منهما إلى لعب دور إقليمي مهيم، لذا تتخذ العلاقات بينهما طابعاً تنافسياً: فتركز إيران اهتمامها على سوريا وتركز

الولايات المتحدة على تركيا وعلى إسرائيل، وترى الدولتان نفسيهما في قلب صراعات الإقليم، وتعملان على إعادة قراءة وتعريف خريطة القوى والتحالفات فيه بما يمكنهما من التعامل والتفاعل معه بكيفية يفترض بها أن تحقق لكل منهما برنامجها الوطني والقومي.

المحور الخامس: الشرق الأوسط والقوى الكبرى

تعمل المنافسة بين القوى العظمى على تغيير احتمالات إدارة الصراعات في الشرق الأوسط. بينما يعيد صانعو السياسة التفكير في دور الولايات المتحدة في المنطقة، يجب عليهم تجنب هذا النوع من الأخطاء الاستراتيجية التي وفرت فرصاً للقوى الكبرى الأخرى، لا سيما الصين وروسيا، لتقويض سياسة الولايات المتحدة.

على مدار العقد الماضي، أولى خبراء الشرق الأوسط اهتماماً كبيراً بالثورات العربية وتداعياتها. بينما كانت الولايات المتحدة تناقش دورها في الشرق الأوسط، سعت روسيا والصين - وبدرجة أقل الهند والاتحاد الأوروبي - إلى نفوذ أكبر في المنطقة. نادراً ما يلقي التعليق على منافسة القوى العظمى في الشرق الأوسط الضوء على ما تريده القوى الكبرى وكيف تسعى إلى تحقيق أهدافها. لم تؤد المنافسة بين القوى الكبرى إلى مواجهة مباشرة حتى الآن، لكن الجهات الفاعلة القوية ما زالت تسعى إلى إقامة وتوسيع وتعزيز النفوذ والهيبة على حساب بعضها البعض، ولا يزال التعاون عرضياً وظرفياً.

على الرغم من أن الولايات المتحدة لا تزال طرفاً خارجياً مهماً - حتى الآن - في المنطقة، إلا أن قادة الولايات المتحدة وصانعو السياسة الخارجية يناقشون ما إذا كان ينبغي أن تكون واشنطن الضامن الرئيسي للأمن في المنطقة. كان هذا النقاش، مقروناً بفك الارتباط الفعلي للولايات المتحدة في أماكن معينة.²³

اليوم ثلاث قوى خارجية - الولايات المتحدة والصين وروسيا - هي اللاعبين الرئيسيين وراء تنافس القوى العظمى في الشرق الأوسط. أدت عواقب الانتفاضات العربية وتراجع نظام ما بعد الحرب الباردة وزيادة التنافس العالمي بين القوى العظمى إلى هذه المنافسة الإقليمية من جديد.

"إن التنافس بين القوى العظمى، إلى جانب الخلافات الإقليمية القائمة بالفعل بين إيران والدول العربية السنية بقيادة المملكة العربية السعودية وإسرائيل وتركيا، قد وضع بصماته السلبية على استقرار المنطقة".

لقد كان الشرق الأوسط - بفضل موارده النفطية الغنية، وموقعه الجيوستراتيجي، والممرات البحرية الدولية الرئيسية والمضائق، من قناة السويس وباب المندب إلى مضيق هرمز - موقعًا طبيعيًا لتنافس القوى العظمى لسنوات. أدت عواقب الانتفاضات العربية وتراجع نظام ما بعد الحرب الباردة إلى هذه المنافسة من جديد. وضع التنافس بين القوى العظمى، إلى جانب الخلافات الإقليمية القائمة بالفعل بين إيران والدول العربية السنية بقيادة السعودية وإسرائيل وتركيا، بصماته السلبية على استقرار المنطقة.

عند تقاطع التنافس بين القوى العظمى والمنافسة الإقليمية في الشرق الأوسط، هناك خمسة اتجاهات على الأقل تشكل البيئة الاستراتيجية الحالية للشرق الأوسط:

1. صراعات طال أمدها في المنطقة، من الحروب في سوريا إلى ليبيا واليمن.
2. التنافس المستمر بين التحالف الذي تقوده السعودية وإيران ووكلاؤهما
3. وبناءً على ذلك، لا تزال الديناميكيات المتوترة بين الولايات المتحدة وإيران في قلب عدم الاستقرار الإقليمي مع وجود إمكانية أخرى للتصعيد إلى حوادث عنيفة مثل إسقاط إيران لطائرة أمريكية بدون طيار، والهجمات على القاعدة الأمريكية في العراق، وقتل الولايات المتحدة لقائد. (الحرس الثوري الإيراني) قاسم سليماني.
4. الوكالة الدولية المتنامية لدول الخليج العربي الأصغر (قطر والإمارات العربية المتحدة من بين دول أخرى) - والأزمة داخل دول مجلس التعاون الخليجي في عام 2017.
5. "المجهول المعلوم" للتداعيات الاقتصادية لوباء COVID-19 وتأثيراته المحتملة على أمن الشرق الأوسط.

من المرجح أن تظل هذه العوامل الخمسة حاسمة لأنها لن تؤثر فقط على النظرة الاستراتيجية للمنطقة ولكنها تؤثر أيضًا على شكل تنافس القوى العظمى في الشرق الأوسط بين الولايات المتحدة والصين وروسيا.²⁴

الخاتمة:

بناءً على ما تم تناوله في هذه الدراسة حول منطقة الشرق الأوسط وموقعها ومكانتها في البيئة الدولية، يمكننا القول بأننا توصلنا إلى النتائج التالية:

- تعتبر منطقة الشرق الأوسط منذ القدم وإلى الآن من أهم المناطق حيوية واستراتيجية في العالم إن لم تكون أهمها على الإطلاق، وذلك بما تحويه من موارد طبيعية و حيوية للاقتصاد العالمي وكذلك ممرات مائية استراتيجية للتجارة الدولية، ولعبور الأساطيل العسكرية للقوى الكبرى المتصارعة على النفوذ العالمي.
- بالإضافة للموقع الاستراتيجي والممرات المائية، لعب النفط دورا أساسيا في احتدام الصراع والمنافسة على النفوذ في المنطقة سواء من قبل القوى الإقليمية أو الدولية الكبرى.
- تربط الولايات المتحدة الأمريكية أمنها القومي بأمن الشرق الأوسط الذي يمس مصالحها القومية، ويشكل العمود الحيوي في سياستها العالمية.
- احتدام المنافسة و الاستقطاب الإقليمي بين مختلف القوى الإقليمية خاصة إيران والسعودية وتركيا، وكل له أهدافه ومصالحه الخاصة.

الهوامش:

- 1- جمال مصطفى عبد الله، الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط 1979-2000، (عمان: دار وائل للنشر، 2002)، ص25
- 2- فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1987)، ص 53.
- 3- Peter Gourevitch, "The Second Image Reversed: The International Sources of Domestic Politics," International Organization, Vol. 32, Number 4 (Autumn 1978), pp. 881-912;
- 4- محمد ع. حوات، مضيق باب المندب: أهميته الإستراتيجية وتأثيره على الأمن القومي العربي، (القاهرة: مديبولي، 1996)، ص21.
- 5- فاروق يوسف أحمد، "ما هو الشرق الأوسط المعاصر؟ مدخل إلى إجابات متعددة"، أوراق الشرق الأوسط، ع 3، 1991، ص 71.
- 6- صلاح أحمد زكي، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي، (القاهرة: دار العالم الثالث، 1995)، ص7.
- 7- John G. Ford, Atlas Of Man, (London: Marshal Covendish Edition, 1978), p 18.
- 8- ممدوح محمود مصطفى، الصراع الأمريكي السوفيتي في الشرق الأوسط، (القاهرة: مكتبة مديبولي، 1995)، ص 29.
- 9- علاء عبد الوهاب، الشرق الأوسط الجديد، (القاهرة: دار سيناء للنشر، 1995)، ص 53.

- 10- مصطفى عبد العزيز موسى، العرب في مفترق طرق بين ضرورات المشروع القومي ومحاذير المشروع الشرق أوسطي، (القاهرة: مكتبة دار الشروق، 1995)، ص 106.
- 11- جميل مطر، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة)، 1992، ص 28.
- 12- أحمد عطية، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، 1968، ص 680.
- 13- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993)، ص 456.
- 14- محمود عبد الفضيل، الواقع والوهم حول الشرق أوسطية، (القاهرة: دار سيناء للنشر، 1995)، ص 23.
- 15- جلال معوض، "الوطن العربي والشرق الأوسط: مشكلة الهوية"، شؤون عربية، ع 85، مارس 1996، ص ص 142-143.
- 16- عبد المنعم السيد، البعد الاقتصادي للنظام الشرق أوسطي، آفاق عربية، ع 19، يوليو 1994، ص 26.
- 17- جورج قرم، تاريخ الشرق الأوسط، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2010)، ص 75.
- 18- محمد محمود الإمام، الوطن العربي ومشروعات التكامل البديلة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997)، ص 53.
- 19- سيد أحمد عثمان، دراسات في الشرق الأوسط، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 2009)، ص 77.
- 20- فيصل غازي، "الجانب الإقليمي في مشروع الأمن الشرق أوسطي"، آفاق عربية، ع 3، 1999، ص 18.
- 21- حسنين جودة، جغرافية آسيا الإقليمية، (الإسكندرية: الدار الجامعية، 1997)، ص 36.
- 22- محمد كمال عبد الحميد، الشرق الأوسط في الميزان الإستراتيجي، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 2002)، ص ص 4-5.
- 23 - Steven A. Cook, "Major Power Rivalry in the Middle East", available at: https://cdn.cfr.org/sites/default/files/report_pdf/dp-cook-no.-2.pdf
- 24 - Wojciech Michnik, "Great power rivalry in the Middle East", available at: <https://www.realinstitutoelcano.org/en/commentaries/great-power-rivalry-in-the-middle-east/>